من العام الماضي، الى يد رئيس الحكومة، شامير، اكد فيها «ان اليهود الذين كانوا ينوون الهجرة الى اسرائيل يعيدون النظر في نواياهم هذه». واضاف، «انه تلقى اتصالات هاتفية من مبعوثين قدموا اليه تقارير عن مهاجرين فتحوا اضبارات للهجرة، لكنهم اعلنوا انهم يعيدون النظر في نيّتهم بالهجرة الى اسرائيل، وذلك لأنها ـ اسرائيل ـ لم تعد تجسّد جميع الاحتمالات، وآمال تحقيق السلام مع جيرانها»[٤٦].

ويترافق هذا مع ظاهرة الهجرة المعاكسة، التي تقترن، بدورها، مع العوامل الديمغرافية، كانخفاض نسبة الولادة، وضآلة الزيادة الطبيعية في عدد السكان، وتركيب السن من حيث انخفاض نسبة الشباب في المجتمع الاسرائيلي قياساً بالمجتمع العربي (مثلاً، تبلغ نسبة من هم دون سن الـ ١٥ عاماً ٣٠ بالمئة بالنسبة الى اليهود، وهي نسبة منخفضة عمّا هي عند العرب، التي تبلغ نحو ٤٦,٨ بالمئة)[٤٧]، لتشكل جميعاً ما يسمى بـ «القنبلة الديمغرافية» التي يمكن ان تنفجر في أية لحظة، حسب رأي الكثير من الاسرائيليين.

وظاهرة الهجرة المعاكسة تبدو الاكثر تعبيراً عن أزمة اسرائيل الداخلية، والتي جاءت الانتفاضة لتزيد في حدّتها، كونها الأشد خطراً على البنية الداخلية والتركيب الاجتماعي، خاصة في ما يتعلق بنزوح العقول والكفاءات المختلفة، الى ان طاولت حتى مسؤولي الأمن في المؤسسات الاسرائيلية وبعض الاجهزة الاخرى.

وفي هذا الصدد، اشار العالم النفسي الاسرائيلي، د. دافيد رودي، الى «ان هذا [الامر] أصبح مثيراً. وقد باتت المسألة عملية نفسية معقّدة. وغالباً ما ينتهي تفاعلها الى قرار النزوح عن البلاد لتجريب الحظ في مكان آخر. فالنازحون لم يحصلوا، هنا، على ما يعتقدون بأنه من حقهم الحصول عليه...». واضاف: «ان الشباب اليهودي وجد نفسه تجاه مصاعب متعددة؛ وهذا يعكس الحالة الاقتصادية، وكذلك صعوبة الخدمة العسكرية بدون رواتب تذكر، وما يرافق هذه المرحلة من توتر شديد في العلاقات. وهناك من يريد تغيير صعوبة هذه الحياة، ولكنه غير قادر على ذلك بتاتاً، اضافة الى أن المسألة الأمنية تعقّدت في السنوات الاخيرة، بحيث باتت كالصخرة على صدر كل اسرائيلي. لا أحد من اليهود الاّ ويسمع، ويشاهد، يومياً، ما يجري من حوادث العنف المتبادل»[٤٨].

ونستطيع ان نتبيّن تعبيرات هذه المسألة من خلال استطلاعات الرأي، والمحاولات المستمرة لطلب اللجوء السياسي في بعض بلدان اوروبا الغربية، وكندا، وغيرها. ونشير، هنا، الى أحد هذه الاستطلاعات، الذي يمكن ان يوضح تفاقم هذه الظاهرة. ففي استطلاع للرأي نشرته صحيفة «دافار» (١٧/٥/١٩٨٨) شمل ٢٠٠ طالب ثانوي في انحاء اسرائيل، تبين «ان ٣١,٥ بالمئة من الشبيبة يرون ان ظاهرة النزوح من اسرائيل مفهومة من ذاتها، وذلك على خلفية الوضع الأمني، والسياسي، والاقتصادي؛ وان ٢٧ بالمئة منهم يرون في انفسهم نازحين محتملين؛ و ١٥,٥ بالمئة يريدون النزوح مع عائلاتهم حالياً. وذكر الاستطلاع انه «نزح، في العامين الاخيرين، حوالى ٣٤ ألف شخص»[٤٩] من اسرائيل.

على صعيد آخر، ذكرت المجلة الاسبوعية «يسرائيل شيلانو»، وهي لسان حال النازحين المتعاطفين مع الليكود، والتي تصدر في الولايات المتحدة، «ان هناك عشرات الاسرائيليين الذين يطلبون ملجأ سياسياً في كندا، لأنهم بلا حقوق في اسرائيل، بسبب آرائهم السياسية». واضافت المجلة ان ٢٣ شخصاً من الاسرائيليين طلبوا، في العام ١٩٨٧، حق اللجوء السياسي الى كندا، مقابل